التراث الجغرافي اللغوي عند العرب

الدكتور حسين نصار

كان الشاعر العربي القديم ابن بيئته البار، أقام فيها فأحبّها وأذابها في وجدانه . وانتقل عنها فلم ينسها ، ودأب على ذكرها والوقوف والاستيقاف عليها كلما مرّ بها . واتخذ منها ملهماً لأفكاره ، ومنبعاً لصوره ، وموضوعاً لوصفه . وتغنى بها ـ على قسوتها عليه أحياناً ـ وردد أسماء البقاع التي شاهدت فترات من حياته ، متتبعاً مستقصياً ، كما فعل الحارث بن حلزة ، حين قال في معلقته :

آذَنَتْنا ببَينِها أسماء ... رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثواء

بعد عهدٍ لنا ببرقةِ شَمّا ... ءَ فأدنى ديارها الخلصاء

فالمحياة فالصَّفاح فأعلى ... ذي فتاقٍ فعاذبٌ فالوفاء

فرياض القطا فأودية الشُّرْ ... بب فالشعبتان فالأبلاء

لا أرى من عهدت فيها فأبكي ... اليومَ دلها وما يردُّ البكاء !

وكان ذلك الشاعر مخلصاً لبيئته ، يحب أن يعود إلى صورتها الكاملة بجميع أبعادها وأن ينقلها إلى من يتغنى لهم ومعهم بتلك الأبعاد ، فلم يضن عليهم بشيء يزيد صورتها تحدداً وكمالا . فعمد زهير إلى رسم الطريق الذي سلكته محبوبته في رحلتها في وادي

السوبان ، والجانب الذي مالت إليه منه ، إذ قال في معلقته :

ظهرن من السُّوبان ثم جزعْنه ... على كل قَيْنيٍّ قشيب ومفأم

وورّكن في السوبان يعلون متنه ... عليهن دلُّ الناعم المتنعِّم

وعمد امرؤ القيس إلى الموضع الذي يريد التحدث عنه ، فشفى كل نفس من تحديده حين قال :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقراة ، لم يعف رسمها ... لما نسجتها من جنوب وشمأل

وعُرف امرؤ القيس خاصة بميله الى تحديد مواقع البقاع التي يتحدث عنها ، وقدرته على ذلك ، حتى رويت في ذلك القصص التي ـ صحت أو لم تصح ـ لا تفقد دلالتها على اشتهار ذلك الجانب عند الشاعر .

حدث إسحاق بن إبراهيم الموصلي أنه أقبل قوم من اليمن يريدون النبي ﷺ فضلّوا الطريق . ومكثوا ثلاثة أيام لا يجدون الماء . وجعل الرجل منهم يستروي بفيء السَّمُر والطَّلْح حتى أيسوا من الحياة ، إذ أقبل راكب على بعير له ، فأنشد بعضهم :

ولما رأت أنّ الشريعة همُّها ... وأن البياض من فرائصها دامى

تيمَّمت العين التي عند ضارج ... يفيء عليها الظل ، عرمضُها طامى

فقال لهم الراكب ـ وقد علم ما هم عليه من الجهد ـ : « من يقول هـذا ؟ » قالوا : « امرؤ القيس » . قال : « والله ، ما كذب ، هذا ضارج عندكم » . وأشار إليه . فاذا ماء عذب وعليه العرمض ـ الطحلب الذي على الماء ـ والظل يفيء عليه فشربوا منه ريهم ، وحملوا منه ما كفاهم [1] .

واتخذ لَيَل [2] Lyall من هـذه الظاهرة دليلا على صحة الشعر الجاهلي وصحة نسبته إلى قائليه .

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ٣/ ٤٦٠ .

(٢) مقدمة طبعته لديوان عبيد بن الأبرص ١٣ .

وظهر اللغويون الذين عنوا بالشعر رواية ودراية ، وحاولوا تفسير جميع جوانب ذلك الشعر ليتضح أمام القراء الجدد الذين ما كانوا يعرفون مناسباته ، ولا كثيراً من ألفاظه وإشاراته ، لطول العهد بينهم وبين قائليه ، وللبعد بينهم وبين اللغة التي نظم بها .

فكان من الجوانب التي عنوا بها البقاع المذكورة في الشعر ، فعاملوا أسماءها معاملتهم لغيرها من الألفاظ ، وبالطريقة التي عاملوه بهـــا ، وفي ذلك الوقت المبكر الذي عنى اللغويون فيه بألفاظ الشعر .

وكان ذلك أمراً لغوياً ، يقوم به لغويون ، بهدف لغوي ، ومنهج لغوي . ولا يحس القائمون به أنهم يعالجون شيئاً بعيداً عن اللغة .

ولـكن ذلك الميدان لم يبق طويلا خالياً للغويين وحـدهم ، بل ما أسرع ما وجدوا معهم جماعات تعالج تلك الأماكن ، وغيرها من البقاع التي لم يسمع عنها اللغويون ، معالجة مختلفة اختلافاً كبيراً في الهدف والمنهج . فما كانوا يعنون بدراسة اللغة العربية ، بل كان بعضهم يعنى بدراسة الأخبار والأحداث العربية ويسمون أنفسهم الأخباريين والمؤرخين . وكان بعضهم الآخر يدرسون البقاع العربية وغيرها من البقاع من أجل التعريف بها ، ويسمون أنفسهم الجغرافيين ، وأصحاب المسالك والممالك ، أو تقويم البلدان .

وقد تنبه القدماء أنفسهم إلى المغايرة بين اللغويين والجماعة الأخيرة خاصة ، لأن المؤرخين عنوا بالمواضع كمقدمات لدراساتهم التاريخية . فلم تسلط الأضواء إلا على اللغويين والجغرافيين ، الذين اعتمد عليهم ياقوت في معجم بلدانه العظيم ، ونبّه في مقدمته إلى الفروق بين الفريقين حين قال[1] : « صنف المتقدمون فى أسماء الأماكن كتباً وبهم اقتدينا وهي صنفان : منها ما قُصد بتصنيفه ذكر المدن المعمورة والبلدان المسكونة المشهورة ، ومنها ما قُصد به ذكر البوادي والقفار ، واقتصر على منازل العرب الواردة في أخبارهم والأشعار . فأما من قصد ذكر العمران فجماعة وافرة ، منهم من القدماء والفلاسفة والحكماء أفلاطن وفيثاغورس وبطليموس وغيرهم كثير من هـذه الطبقة ، وسموا كتبهم في ذلك

(١) معجم البلدان ١/٦ .

جغرافيا ... وقد وقفت لهم منها على تصانيف عدة جهلت أكثر الأماكن التي ذكرت فيها ، وأبهم علينا أمرها ، وعُدمت لتطاول الزمان فلا تعرف ، وطبقة أخرى إسلاميون سلكوا قريباً من طريقة أولئك من ذكر البلاد والممالك ، وعيّنوا مسافة الطرق والمسالك ، وهم ابن خرداذبه وأحمد بن واضح والجيهاني وابن الفقيه ... وأما الذين قصدوا ذكر الأماكن العربية والمنازل البدوية فطبقة أهل الأدب ، وهم أبو سعيد الأصمعي ، وأبو عبيد السكوني ، والحسن بن أحمد الهمداني ... وأبو الأشعث الكندي... وأبو سعيد السيرافي.. وأبو محمد الأسود الغندجاني ... » .

وحديثي في هذا المقال قاصر على الذين سماهم ياقوت طبقة أهل الأدب ، أو الذين عالجوا أسماء الأماكن معالجة لغوية أدبية .

وأقدم من أعرف من هذه الطائفة خلف الأحمر ، المتوفى في حدود سنة ١٨٠ هـ . فقد قيل إنه ألف كتاباً بعنوان «جبال العرب وما قيل فيها من الشعر [١] » . وينافسه في القدم أبو الوزير عمر بن مطرف ، المتوفى في عهد الرشيد ١٧٠ ـ ١٩٣ [٢]. فقد نسب اليه كتاب « منازل العرب وحدودها ، وأين كانت محلة كل قوم ، والى أين انتُقِل منها [٣] » . والكتابان مفقودان ، ولم أعثر فيما رجعت إليه من كتب على نصوص يصرح أنها مقتبسة عنهما .

وينسب إلى أبي المنذر هشام بن محمد الكلبي ، المتوفى في سنة ٢٠٤ ، عدة كتب من هذا النوع . ذكر ابن النديم[٤] منها البلدان الكبير ، والبلدان الصغير ، وقسمة الأرضين ، والأنهار ، ومنازل اليمن ، وأسواق العرب ، والأقاليم ، والحيرة وتسمية البيع والديارات ونسب العباديين ، وتسمية ما في شعر امرئ القيس من أسماء الرجال والنساء وأنسابهم وأسماء الأرضين والجبال والمياه .

(١) ابن النديم : الفهرست ٥٠ . القفطي : إنباه الرواة ١/٣٥٠ . السيوطي : بغية الوعاة ٢٤٢.
(٢) وقيل إنه مات في عهد المهدي ١٥٨ ـ ١٦٩ هـ .
(٣) ابن النديم : الفهرست ١٢٧ . ياقوت : معجم الادباء ١٦/٧٢ .
(٤) الفهرست ٩٧ . وعنه ياقوت : معجم الأدباء ١٩/٢٩١ .

وذكر ياقوت [1] في قائمة المراجع التي اعتمد عليها في تأليف معجم البلدان ، أنه وقف لابن الكلبي على كتاب يدعى « اشتقاق البلدان » . وقد أكثر ياقوت في معجمه ، وفى كتابه المشترك وضعا والمفترق صقعا ، بل أبو عبيد البكري في معجم ما استعجم أيضاً ، من النقل الصريح عن ابن الكلبي . وأعلن الرجلان في بعض المواضع أسماء الكتب التي ينقلان عنها ، فلم يرد أي كتاب من الكتب السابقة من بينها . ولكن ورد اسم كتاب آخر لابن الكلبي ، يدعى « أنساب البلدان » ، في مواضع قليلة [2] . وأظن أن هذا الكتاب هو الاشتقاق ، كما رجح كراتشكوفسكي [3] .

وتدل النصوص التي اقتطفها ياقوت من الأنساب أن ابن الكلبي حاول فيه أن يعلل أسماء الأماكن ويفسرها ، بإيراد بعض القصص الحقيقية والخرافية التي تروى فى صدد ذلك ، وأنه لم يقصر جهده على الأماكن العربية بل تعداها إلى الفارسية . وأمثال هذه النصوص التي تذهب هذا المذهب ، ورواها ياقوت عن ابن الكلبي ـ دون أن يبين عنوان الكتاب الذي استقاها منه ـ كثير ، وفى خلدي أنها جميعاً مأخوذة من أنساب البلدان .

وأمثل لهذه النصوص بقوله [4] في تفسير اسم جُرَش : « قرأت بخط جُخْجَخ النحوي ، في كتاب أنساب البلدان لابن الكلبي : أخبرنا أحمد بن أبي سهل الحلواني ، عن أبي أحمد محمد بن موسى بن حماد البريدي ، عن أبي السري ، عن أبي المنذر قال : جرش : قبائل من أفناء الناس تجرشوا . وكان الذي جرشهم رجل من حمير يقال له زيد بن أسلم خرج بثور له عليه حملُ شعير ، في يوم شديد الحرّ . فشرد الثور ، فطلبه فاشتد تبعه . فخلف لئن ظفر به ليذبحنّه ثم ليجرشنّ الشعير وليدعونّ على لحمه . فأدركه بذات القصص عند قلعة جرش وكل من أجابه وأكل معه يومئذ كان جرشياً .. » .

---

(١) معجم البلدان ١/٧ .

(٢) معجم البلدان ٢/٦٠ ، ٨٧٦ ، ٤/٤٤١ وصرح باسم جخجخ الذي كان ينقل من نسخته للكتاب في ٣/٩١٤ ، ٤/٥٧٢ .

(٣) ١٢٧ .

(٤) معجم البلدان ٢/٦٠ .

وألف أبوعبيدة ، المتوفى في٢٠٨ هـ ، كتاب الحرّات [١] ولم يورد البكرى ولا ياقوت شيئاً منه في حديثها عن الحرات .

وألف أبو زيد الأنصاري ، المتوفى فى ٢١٥ هـ ، كتاب المياه [٢] . ولم أجد نصوصاً يصرح أنها مقتبسة منه . وغير بعيد أن يكون النص التالي مأخوذاً منه . قال ياقوت [٣]: « قال أبو زيد : تخرج من الحمى ـ حمي ضرية ـ فتسير ثلاثة ليال مستقبلا مهب الجنوب من خارج الحمى ، ثم ترد مياه الضباب ، فمن مياههم الأرطاة » .

وألف الأصمعي، المتوفى في ٢١٦ ، كتب مياه العرب، وجزيرة العرب ، والدارات [٤] ولم يصرح ياقوت باسم الأول منها فى مقتبساته ، غير أنه أكثر من النقل من الثاني . وتدل هذه المقتبسات على أن الأصمعي رتب الكتاب وفقاً للأقاليم والقبائل ، فكان يذكر بقاع إقليم إقليم ، أو قبيلة قبيلة ، مثل مياه نجد ، ونواحي الطائف ، ومنازل قيس بنجد ، وديار الحجاز ، وغيرها . وتدل أيضاً على أنه كان يحدد الأماكن بما جاورها ، أو باقليمها ومن يسكنها ، وكان في بعضها يصل الى تحديد جد دقيق . وكان عماده فى أقواله على الشعر .

تمثل لذلك بقوله [٥] : « لبني نصر بن معاوية بجانب ركبة بقعاء بين الحجاز وبين ركبة ، وهي من أرض ركبة » ؛ ولعنايته بالشعر يقول ياقوت [٦] : « أنشد الأصمعي في كتاب جزيرة العرب لرجل من طيئ ، يقال له الخليل بن قردة ـ وكان له ابن واسمه زافر ، وكان قد مات بالشام في مدينة دمشق ـ فقال :

ولا آب ركبٌ من دمشق وأهله ولاحمص إذ لم يـأت في الركب زافر
ولا من شبيث والأحص ومنتهى الـ ـمطايا بقنّسرين أو بحناصر »

ويعد كتاب الدارات للأصمعي أقدم كتاب وصل الينا من هذه المجموعة . وقد

(١) ابن النديم : الفهرست ٥٤ .
(٢) ابن النديم : الفهرست ٥٥ .
(٣) معجم البلدان ٢٠٩/١ .
(٤) » » » ٥٥ .
(٥) » » ٢٠١/١ .
(٦) معجم البلدان ١٥٢/١ .

نشره الآباء اليسوعيون في كتاب « البلغة في أصول اللغـة » . واستهل الأصمعي كتابه الصغير باحصاء الدارات في بلاد العرب ، فكانت عنده ١٦ دارة . ثم عرّف الدارة ، وأورد صيغ جموعها . ثم أخذ يسرد أسماءها دون ترتيب ويتحدث عن كل منها . ودأب في حديثه هذا على أن يورد الاسم ثم بيتاً أو بيتين من الشعر شاهدين عليه . ولم يبذل أية محاولة لتحديد مواقعها . أما شواهده الشعرية فنسب بعضها إلى قائله ، وأهمل ذلك في غالبها .

قال في مفتتحه : « دارات العرب المعروفة في بلدانهم وأشعارهم ست عشرة دارة . والدارة : ما اتسع من الأرض وأحاطت بـه الجبال غلظ أو سـهل . يقال : دار ، ودارة وأدؤر ، ودارات . فمن ذلك دارة وشجى ، وأنشد :

ولستُ بناسٍ موقفاً إن وقفته بدارة وشجى ما عَمِرتُ سليما

ودارة جُلْجُل ، قال امرؤ القيس :

ألا رُبَّ يومٍ لك منهن صالحٍ ولا سيما يومٍ بدارة جلجلِ

ودارة رفرف ، وأنشد :

فقلت: عِدي. قالت: إذا الليل جَنَّنا فموعدنا أقوازُ دارة رفرف »

وألف محمد بن خالد البرقي ـ من أصحاب محمد بن علي الجواد المتوفى في ٢٢٠ هـ ـ كتاب البلدان [١] . ولم يشر اليه ياقوت ولا البكري .

وألف أبو عثمان سعدان بن المبارك (المتوفى في ٢٢٠ هـ) ، كتاب الأرضين والمياه والجبال والبحار [٢] . ورأى ابن النديم قطعة منه بخط ابن الكوفي [٣] . ولكن ياقوتاً والبكرى لم يذكراه .

وألف الحسن بن محبوب السراد (المتوفى في ٢٢٤ هـ) كتابي الأرضين ، والبلدان [٤] . ولم يذكرهما ياقوت والبكري .

---

(١) ابن النديم : الفهرست ٢٢١ .

(٢) ابن النديم : الفهرست ٧١ . ابن الانباري : نزهة الألباء ١٠٣ . السيوطي : البغية ٢٥٤ .

(٣) ابن النديم : الفهرست ٧١ .

(٤) ابن النديم : الفهرست ٢٢١ .

ونسب ابن النديم [1] إلى أبي الحسن علي بن محمد المدائني ، المؤرخ المشهور (المتوفى في ٢٢٥ هـ) كتاباً عن حمى المدينة وجبالها وأوديتها . ولكن كل ما نقله ياقوت عن المدائني مواد تاريخية ، ما عدا ثلاثة نصوص ، تحدث في أحدها عن حد تهامة[2] ، وفي ثانيها عن حدّ العراق [3] ، وفي ثالثها عن وادي قناة [4] . وربما أخذ هذه النصوص الثلاثة من بعض كتبه التاريخية الكثيرة ، وربما أخذ النص الثالث وحده من الكتاب المذكور.

وألف الجاحظ (المتوفى في ٢٥٥ هـ) كتاباً اختلفت المراجع في عنوانه . فسماه ابن حوقل[5] وياقوت[6] « البلدان » ، والثعالبي [7] « خصائص البلدان » ، والمسعودي [8] « الأمصار وعجائب البلدان » وحاجي خليفة والثعالبي في موضع آخر من كتابه : [9] « الأمصار » . وتحمل قطعة منه ، محفوظة بالمتحف البريطاني تحت رقم ١١٢٩ ، عنوان « الأوطان والبلدان [10] » .

وذكر المسعودي [11] أن الجاحظ ادعى في هذا الكتاب أن منبع نهري مهران بالسند والنيل بمصر واحد ، واستدل على ذلك باتفاق زيادتهما ، وكون التماسيح فيهما ، وأن طرق الزراعة في البلدين واحدة ؛ ثم رد عليه .

ونقل ياقوت [12] منه نصاً يدل على أن الجاحظ تناول فيه بعض الآثار الجميلة ، ذات الشهرة الكبيرة، بالوصف . قال ياقوت : « حكى الجاحظ في كتاب البلدان قال : قال بعض السلف : ما يجوز أن يكون أحد أشد شوقاً إلى الجنة من أهل دمشق ، لما يرونه من

(١) الفهرست ١٠٣ . (٢) ١/٩٠٢ . (٣) ٣/٦٣٠ .

(٤) ياقوت : معجم البلدان ٤/١٨٢ . السمهودي : وفاء الوفا ٢/٢١٥ .

(٥) صورة الأرض ٣٢٢ . (٦) معجم البلدان ٢/٥٩٣ .

(٧) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ٤٣٨ .

(٨) التنبيه والاشراف ٥٥ . ومروج الذهب ١/٩٩ .

(٩) كشف الظنون ٢/١٣٩٨ . ثمار القلوب ٤١١ .

(١٠) Rieu, Supplément, No 1129.

(١١) التنبيه ٥٥ ، ومروج الذهب ١/٩٩ (١٢) معجم البلدان ٢/٥٩٣ .

حسن مسجدهم . وهو مبني على الأعمدة الرخام طبقتين ، طبقة التحتانية أعمدة كبار ، والتي فوقها صغار ، في خلال ذلك صورة كل مدينة وشجرة في الدنيا بالفسيفساء الذهب والأخضر والأصفر . وفي قبليه القبة المعروفة بقبة النسر ، ليس في دمشق شيء أعلى ولا أبهى منظراً منها . ولها ثلاث مناثر : إحداها ـ وهي الكبرى ـ كانت ديدبانا للروم ، وأقرّت على ما كانت عليه ، وصيرت منارة » .

وتبين النصوص المنسوبة إلى الجاحظ ـ وإن لم يصرح باسم الكتاب المأخوذة منه ـ أنه كان يرصد الظواهر الطبيعية والبشرية ، ويعدها من فضائل البلدان التي تقع بها أو من عيوبها ، أي من خصائصها . فقد نقل عنه ياقوت [1] ما يتعلق بالمد والجزر وتغير الطقس في البصرة ، وكراهية المطر في مصر ؛ والمقدسي [2] ما يتعلق بخصائص بغداد والكوفة والبصرة والفسطاط وغيرها . وتبين أيضاً أنه لم يقتصر على الأقاليم العربية ، بل تناول غيرها أيضاً مثل الري ونيسابور ومرو وبلخ وسمرقند وغيرها [3] .

وأثنى كثيرون على كتاب الجاحظ ، قال ابن حوقل [4] : « كتاب نفيس » . واتهم المقدسي [5] ابن الفقيه بسرقة كتاب الجاحظ ، على الرغم من سوء رأيه فيه إذ قال [6] : « وأما الجاحظ وابن خرداذبه ، فان كتابيهما مختصران جداً لا يحصل منهما كثير فائدة » . كذلك عابه البيروني ووسم صاحبه بالبساطة والسطحية .

وذكر ياقوت في معجم الأدباء أن شمر بن حمدويه الهروي (المتوفى ٢٥٥ هـ) ألف كتاب الجبال والأودية [7] ، ولكنه لم يذكره في مقدمة معجم البلدان . وبالرغم من ذلك عزا اليه ، هو وأبو عبيد البكري ، كثيراً من الأقوال . وكلها ـ على وجه التقريب ـ تفسيرات لغوية واشتقاقية . فلا أدري يقيناً : هل أخذاها من هذا الكتاب أو غيره ؟

---

(١) معجم البلدان ١/٦٤٧ ، ٦٥١ ، ٤/٥٥٢ .
(٢) أحسن التقاسيم ٣٣ .
(٣) نفس الموضع .
(٤) صورة الأرض ٣٢ .
(٥) أحسن التقاسيم ٢٤١ .
(٦) أحسن التقاسيم ٤ .
(٧) ١١/٢٧٥ .

وربما كان الاستثناء الوحيد من الحكم السابق ما نقله ياقوت عنه [1] : « عُناب : جبل في طريق مكة . قال المرار :

جعلن يمينهن رعان حبسٍ وأعرض عن شمائلها العُناب »

وبالرغم من ذلك لا أستطيع أن أؤكد أنه من كتابه المذكور .

ونسب ياقوت في معجم الأدباء إلى أبي عبد الله أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل ، نديم المتوكل ، المتوفى نحو ٢٥٥ هـ ، كتاب أسماء الجبال والمياه والأودية [2] . ولا ذكر له في معجم البلدان ولا معجم البكري .

وفي عهد المتوكل أيضاً ، كان يعيش محمد بن إدريس بن أبي حفصة ، الذي وقف ياقوت [3] على كتاب له سماه « مناهل العرب » ، كما تدل المقتبسات على أنه عاد إلى كتابه الآخر اليمامة . ولا يفرق ياقوت بين ما يقتبسه من كل من الكتابين ، ولكننا قد نطمئن إلى أن كل ما يتصل باليمامة من الكتاب الثاني ، وما عداه يحتمل أن يكون من الكتاب الأول . فاذا كان الأمر كذلك ، نستطيع أن نقول إن المؤلف وصف في كتابه الأول المواقع على الطريق بين البصرة ومكة [4] ، وحجر والبصرة [5] ، وربما الطريق بين اليمامة ومكة [6] ، ووصف كثيراً من الأماكن بالبحرين ، ونجد ، وهجر [7] .

قال ياقوت [8] : « قال الحفصي : إذا خرجت من البصرة تريد مكة ، فتأخذ بطن فلج ، فأول ماء ترد الحفير . قال بعضهم :

ولقد ذهبتُ مراغماً أرجو السلامة بالحُفيرِ

فرجعت منه سالماً ومع السلامة كل خير »

وتحدث في كتاب اليمامة عن القرى ، والمياه ، والجبال ، والوديان ، والرياض ، والأماكن . بل عدّه ياقوت أحسن من كتب عن اليمامة ، فجعله مصدره الرئيس فيها .

---

(١) ٣/٧٣٢ .
(٢) ٢/٢٠٤ .
(٣) معجم البلدان ١/٧ .
(٤) ٢/٢٩٧ ، ٣٤٧ .
(٥) ٨٥٦ .
(٦) ٢/٣٥٠ .
(٧) ١/٩٤١ ، ٢/٣٥٤ ، ٣/٨٨٦ ، ٤/٨٩٤ ،
(٨) ٢/٢٩٧ .

ولعله نقل الكتاب برمته في معجمه . قال ياقوت [1] : « قال محمد بن إدريس بن أبي حفصة : أثيفية : قرية وأكيمات ، وإنما شبهت بأثافي القدر ، لانها ثلاث أكيمات . وبها كان جرير . وبها له مال . وبها منزل عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ... » .

وقال ياقوت في حديثه عن الأجرعين [2] : « علم لموضع باليمامة ، عن محمد بن إدريس ابن أبي حفصة ، هكذا حكاه مبتدئاً به » . ولعل هذا القول يعني أن الحفصي بدأ كتابه بالأجرعين . وربما كان لنا الحق أن نستنبط أنه رتب مواضعه على الألفباء ، ولكنه في الحرف الأول وحده ، لأنه قدّم الأجرعين على أثيفية . ولكن بعض أقوال ياقوت الأخرى تجعلنا نعتقد أن الكتاب لم يكن مرتباً على الألفباء . قال [3] : « قال الحفصي : ذو سدير قرية لبني العنبر » . وقال في موضع آخر من كتابه : « بظاهر السِّخال واد يقال له : « ذو سُدير » . وربما لم يكن ذلك النص صريح الدلالة على عدم الترتيب ، لأنه من الجائز أن يكون أورد « ذو سدير » الثانية عرضاً ، في أثناء حديثه عن السخال . ولكن ياقوتاً قال أيضاً [4] : « ذكر الحفصي مسافة ما بين اليمامة والدهناء ثم قال : وأول جبل بالدهناء يقال له الوحيد ، وهو ماء من مياه بني عقيل يقارب بلاد بني الحارث بن كعب » ، مما قد نستنبط منه أنه راعى التسلسل الجغرافي .

وكان الحفصي يذكر إقليم المكان الذي يتحدث عنه أو يحدد أبعاده عما جاوره من بقاع مشهورة ، أو يصرح بالقبائل التي تسكنه ، أو أكثر من أمر من هذه الأمور . ولكنه في كتاب اليمامة اقتصر في كثير من البقاع على أنها من اليمامة ، ولم يحاول لها تحديداً .

ومن الطبيعي أن يضطر الزبير بن بكار المتوفى في ٢٥٦ هـ ، في كتبه التاريخية المتعددة الى التعرض للأماكن الواردة في تضاعيف أخباره . ولكن ابن الفقيه الهمداني قال [5] : « وفي العقيق وقصوره وأوديته وحراره أخبار كثيرة ، وللزبير بن بكار فيه كتاب

(١) ١/١٢١ . (٢) ١/١٣٤ . (٣) ٣/٦١ .

(٤) ٤/٩٠٨ . وانظر ٣/٨٧٢ . (٥) البلدان ٢٦ .

مفرد » . وأكد ذلك ياقوت في معجم البلدان [1] والسمهودي في وفاء الوفا[2] .

وتدل النصوص التى نقلها ياقوت ، والبكري ، والسمهودي ، من هذا الكتاب ، أن المؤلف تناول فيه أودية العقيق ، وغدرانه ، وسيوله ، وما اليها ؛ وأكثر فيه من الأخبار والأشعار. قال ياقوت[3] : « ذكر الزبير في كتاب العقيق بالمدينة : هو مَرَخ وذو مرخ وأنشد لأبي وجزة يقول :

واحتلّت الجوّ فالأجراع من مرخ فمالها من مُلاحاة ولا طلب »

وراعى في الأماكن التى ذكرها تسلسلها الجغرافي . قال السمهودي [4] : « قال [الزبير] : وأعلى غُدر مسيلات العقيق التى في درج الوادي مما يلي الحرة موكلان ، من أعلى ذي العش . ثم غدير سليم . ثم ذو التحاميم . ثم الأعوج . ثم غدير الجبال . ثم يماحم. ثم غدير الذباب . ثم غدير الحمير ... » . ولكننا يجب ألا نستنتج من هذه النصوص وأمثالها عند السمهودي أن الزبير كان يدون قوائم مجردة بهذه البقاع ، فقد أثبت الدكتور صالح أحمد العلي [5] أن السمهودي كان يلخص نقوله ، بحذف ما فيها من أشعار .

ونسب ابن النديم [6] الى أحمد بن محمد البرقي ، المتوفى في ٢٧٤ هـ ، كتاب البلدان ، وصرّح أنه كان أكبر من كتاب أبيه السالف الذكر . وبالرغم أن ياقوتاً ترجم له في معجمي الأدباء [7] والبلدان [8] لم يذكر هذا الكتاب ، ولا رجع اليه هو أو البكري .

وألف أبو سعيد الحسن بن الحسين السكرى ، المتوفى في ٢٧٥ هـ ، كتاب المناهل والقرى [9] ، الذي صرح ابن النديم أنه رآه بخطه [10] . والنقول التى يعزوها ياقوت الى السكرى كثيرة . ولكننا لا نستطيع أن ننسب شيئاً منها الى هذا الكتاب ، على وجه اليقين . بل صرح ياقوت نفسه بأسماء كتب أخرى للسكرى ، نقل منها ، مثل روايته

(١) ٢/٨٥٠ ، ٤/٤٩٢ ، ٣/٦ ، ٧٨٠ . (٢) ٢/٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١٩ .
(٣) ٤/٤٩٢ . (٤) ٢/٢١١ . (٥) المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز ٢٠ .
(٦) ٢٢١ . (٧) ٤/١٢٢ . (٨) ١/٥٧٥ .
(٩) القفطي : انباه الرواة ١/٢٩٢ . السيوطي : البغية ٢١٩ . (١٠) ٧٨ .

شعر جرير [1] . أما كتاب المناهل والقرى فلم يذكره لا في الكتاب ولا في المقدمة . وأكثر ما نقله ياقوت أسماء أماكن أوردها في صدد شرحه للشعر ، واكثرها من بقاع شبه الجزيرة العربية ، ولكن قليلا منها في مصر [2] .

وألف عرّام بن الأصبغ السُّلمي المتوفى نحو ٢٧٥ هـ كتاب « أسماء جبال تهامة ، وسكانها ، وما فيها من القرى ، وما ينبت عليها من الأشجار ، وما فيها من المياه [3] » . ووصلت الينا نسخة منه ، من رواية أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي ، عن أبي محمد عبيد الله بن عبد الرحمن السكرى ، عن ابن أبي سعد الوراق ، عن أبي الأشعث عبدالرحمن ابن محمد ، عن المؤلف . وقام بتحقيقها وطبعها الأستاذ عبد السلام محمد هارون . وعليها أعتمد في الوصف . وكان بين يدي أبي عبيد البكري نسخة أخرى ، من رواية أبي عبيدالله عمرو بن بشر الكسوني ، عن أبي الأشعث ، عن عرام ، أتكلم عنها بعد .

ينقسم الكتاب الى قسمين ، يشغل أولهما نحو ثلثيه ، والثاني الثلث الباقي . ويعالج المؤلف في القسم الأول تهامة . ويبدؤها بتحديد ما رأى أنه الحد الشمالي لها ، وهو جبل رضوى . قال [4] : « أولها (رضوي) من ينبع على يوم ، ومن المدينة على سبع مراحل ميامنةً طريق المدينة ، وميامسةً طريق البرّاء لمن كان مصعداً الى مكة ، وعلى ليلتين من البحر ... » . وعندما ينتهي المؤلف من وصف منطقة رضوى ، يبدأ بالمدينة ثم يقوم بما يشبه الرحلة الى مكة . فاذا ما بلغها قفز الى منطقة الطائف .

وكان هدفه من هذه الرحلة وصف ما يقابله من جبال . ويتضح من الكتاب وعنوانه أنه كان في كل جبل يعني بتحديد موقعه ، ووصف شكله ونباته ، وحيوانه ، ومياهه ، وواديانه ، وقراه ومدنه ، وإبانة سكانه .

فكان يحدد الموقع بإبانة أبعاده عما حوله ، وموضعه من الطرق المارة به ، كما يبين من

(١) ١/٨٤٦ . وانظر ١/١١٧ ، ٢٦٧ ، ٥٨٨ . (٢) ١/٢٦٩ .

(٣) نوادر المخطوطات ـ الجزء ٨ ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٥ م .

(٤) ص ٣٩٦ .

النص السابقة ، ومن تكملته الآتيـة : « وبحذائها (عَزْوَر) وبينه وبين رضوى طريق المعرقة تختصره العرب الى الشام ، والى مكة ، والى المدينة ، بين الجبلين قدر شوط فرس. وهما جبلان شاهقان منيعان لا يرومها أحـد . نباتها الشوحط والقرظ والرَّنف ـ وهو شجر يشبه الضَّهياء » .

وكان يذكر قائمة بالنباتات التي تظهر في البقعة التي يتحدث عنها ، ويخشى ألا تعرف بعضها ، فيحاول تعريفها بذكر مرادفها ، أو شبيهها من النباتات ، أو بوصف شكلها ، ومنفعتها ، وثمرتهـــا ، وطعمها ، ورائحتها . قال عن جبلي ثافل الاكبر والأصغر [1] : « نباتها العَرَعر ، والقرظ والظَّيان ، والأيدع ، والبشام . وللظيان ساق غليظة . وهو شاكٌ ـ أي غليظ الشوك ـ ويحتطب . وله سِنفة كسنفة العشرق. والسنفة ما تدلى من الثمر وخرج عن أغصانه . والعشرق ورقٌ يشبه الحندقوقا منتنة الريح . والأيدع : شجر يشبه الدُّلب ، إلا أن أغصانه أشدُّ تقاربا من أغصان الدُّلب ، لها وردة حمراء ليست تجد طيب الريح ، وليس لها ثمر ... » .

وكان في وصفه للمياه يبين قدرها ، ومنبعها ، وطعمها ، وفي الأودية يبين مَصابَّها . قال [2] : « وفي ثافل الأكبر عدَّة آبار في بطن واد يقال له (يَرْنَـد) . يقال للآبار (الدباب) . وهو ماء عذب كثير غير منزوف ، أناشيط قدر قامةٍ قامة . وفي ثافل الأصغر ماءٌ في دوّار في جوفه يقال له (القاحة) وهما بئران عذبتان غزيرتان » .

وكان في حديثه عن القرى والمدن يبين قدرها ، وسكانها ، ومياهها . وفي حديثه عن السكان يذكر القبائل التي تحل بالموضع ، وحالتها المالية ، وما تقوم به من أعمال [3]. قال: « ثم أسفلَ منها (مَهايع) وهي قرية كبيرة غنَّاء ، بها ناس كثير ، وبها منبر ، ووالي سايةٍ من قِبَل صاحب المدينة ، وفيها نخل ومزارع وموز ورمان وعنب . وأصلها لولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وفيها من أفناء الناس ، وتجار من كل بلد ثم خَيْف يقال له (خيف

---

(١) ٢٩٩ . (٢) ٤٠١ . (٣) ٤١٤ .

سلّام) ... وفيه منبر وناس كثير من خزاعة . ومياهها فُقُرٌ أيضاً ، وباديتها قليلة ، وهى جُشَمُ وخزاعة وهذيل » .

وعالج المؤلف في القسم الثاني الحجاز ، وأراد أن يسير فيه على النهج الذي سار عليه فى القسم السابق . ولكن المادة العلمية التي كانت لديه عنه قليلة ، ولذلك اضطر الى الإجمال والإخلال في حديثه ، فظهر البون واضحاً بين القسمين . قال [1] : « ثم (الطّرف) لمن أمّ المدينة ، يكنفه ثلاثة جبال : أحدها (ظَلِم) وهو جبل أسود شامخ لا ينبت شيئاً ، و (حزْمُ بني عُوال) وهما جميعاً لغطفان. وفي عوال آبار منها (بئر ألْية)اسم ألية الشاة ، و (بئر هرمة) و (بئر عُمير) و (بئر السِّدرة) وليس بهؤلاء ماء ينتفع به » .

ثم ألف أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري ، المتوفى في ٢٨٢ هـ ، كتاب البلدان ، الذي وصفه ابن النديم والقفطي بالكبر [2] . وكل النقول التي عثرت عليها من كتابه الآخر ، كتاب النبات ، الذي يعد أعظم ما خلفه القدماء من الكتب التى تصف نباتاتهم .

وتقتني مكتبة شيخ الاسلام بالمدينة كتاباً ، منسوباً إلى أبي علي الحسن بن عبد الله المعروف بلغدة ، معاصر الدينوري ، عالج فيه الأماكن العربية . وتقتني عدة مكتبات عامة وخاصة في بغداد نسخاً منه ، نُقلت عن المخطوط المدني ، غير أنها جميعاً لا تذكر عنوان الكتاب . ولما كان من ترجم للغدة لايذكر له كتاباً من هذا النوع ، بقي عنوان الكتاب مجهولاً منا ، وإن حاول بعضهم أن يضع له من عنده عنواناً اعتماداً على مادته ، فسماه «صفة جزيرة العرب » أو « قبائل العرب ومياهها وجبالها [3] » .

واتخذ المؤلف من القبائل أساساً لبحثه ، فكان يتناول المياه والجبال التى تحل بها

---

(١) ٤٢٤ .

(٢) ابن النديم : الفهرست ٧٨ . القفطى ١/٤١ .ابن الانبارى : النزهة ١٦٥ .

(٣) مكتبة الاوقاف ٦٢١٦ . وعليها أعتمد في الوصف والاشارة . ومكتبة المتحف العراقي ٢٢٧ ، ١١٠٠ ، وانظر المقال القيم الذي نشره الاستاذ محمد رضا الشبيبي بعنوان : أقدم مخطوط وصل الينا عن بلاد العرب ، ص ٣٩ ـ ٤٥ من مجلة المجمع العلمي العراقي ـ الجزء الاول من السنة الاولى ـ ايلول ١٩٥٠ .

بطون قبيلة ما ، إلى أن يفرغ منها ، فينتقل الى غيرها . فهذه مواضع بني عقيل ، فمواضع بني فهم وعدوان ، فبني أسد ، فبني غنى الخ . قال [1] : « ومنزل بني ربيعة الجزيرة . ولبني عامر بن عقيل بن ربيعة الجوفاء ، وهي لمعاوية وعوف ابني ربيعة . وغَضَى لعامر بن ربيعة جميعاً ، ما خلا بني البكاء . ولهم بريم ، وهم شركاء جُشَم فيه . قال الراجز :

تذكّرتْ مشربها من تُصلبا ومن بريم قَصَبا مثقّبا

وتصلب لبني إنسان من بني جشم ... فهذه مياههم الأعداد التي يجتمع عليها ، ولهم مياه سوى هذه ربما نزحت . ولهم من الجبال : حَضن لجشم خاصة . والسود لهم أيضاً . ولهم هَوْلَى ، والقامة . قال الأصمعي : بسّ وبسيان ورهوة في أرض بني جشم ونصر ابني معاوية بن بكر بن هوازن » .

وعند ما ينتهي المؤلف من هذا السرد يصف ثلاثة طرق تخرج من حجر اليمامة ، أولها الى البصرة ، وثانيها الى الكوفة ، وثالثها إلى مكة . قال [2] : واذا خرجت من حجر تريد الكوفة ، فأول ماء ترده يقال له الحُبل - وهو في ناحية القُفّ ، وهو ماء لراعية اليمامة ، وبينه وبين حجر نحو من خمسة فراسخ . ثم تخرج منه فترد القف ، وهي أرض خشنة ظاهرة ، حتى تأخذ بين بنيان والعرض ، تدع بنيان يميناً والعرض يساراً . ثم تمضي حتى ترد البالدية ، بالدية بني غَبَر ، وهي قرية فيها نخيل ومزارع ، وبين البالدية وحجر ليلتان... ».

وفي أواخر الكتاب حديث عن المعادن المطمورة في باطن شبه الجزيرة العربية: نجدها وحجازها ، حيث ذكر الذهب والفضة والنحاس ، وغيرها . قال مثلاً [3] : « الكوكبة من وراء الغيصان ، على مسيرة يوم وليلة ، وهي على رأس جبل ، كان منقوباً فيه باب ، وإنما سميت الكوكبة لأن رجلاً مرّ فاذا هو بفضة شبه الكوكب . فحفروها فانشعبوا فيها حتى كان يدخل فيها نحو من مئة رجل من مدخل واحد فينشعب كل واحد منهم في معمل لا يراه صاحبه ، وهو لنمير » .

(١) ٢ . (٢) ٤٢ . (٣) ٤٩ .

واعتمد المؤلف في مادة كتابه على سكان البقاع التي يتحدث عنها ، وخاصـــة العامري الذي أخذ منه قسطاً كبيراً من كتابه . ولذلك جاء وصفه دقيقاً محكماً ، وخاصة لمنطقة اليمامة .

ونقل السمهودي كثيراً من نصوصه عن كتاب لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأسدي[1] ، من أهل القرن الثالث ، غير أنه لم يذكر اسمـه . وتبين هذه النصوص أن الكتاب كان عن المدينة ومنطقتها ، اهتم بالمساجد التي صلى فيها الرسول صلى الله عليه وسلم ، والطرق التي تتفرع من المدينة الى مكة ، والكوفة ، والبصرة . فسجل أبعادها بالأميال ، والبرد ، وعنى بالمياه والآبار والسكان .

قال السمهودي[2] : « قال الأسدي في وصف طريق العراق : إنه [أي الطّرف] على خمسة وعشرين ميلاً من المدينة ، وعلى عشرين ميلاً من بطن نخل . وذكر فيه آباراً وبركاً » .

ونسب ابن النديم [3] الى أبي الأشعث عزيز بن الفضل الهذلي كتاب « صفات الجبال والأدوية وأسمائها بمكة وما والاها » . وقد ذكر المرزباني في معجم الشعراء عزيزاً ، وقال عنه[4] : « محدث معتمدي » أي أنه من الشعراء الذين اتصلوا بالخليفة المعتمد (٢٥٦ـ٢٧٩) . ولكنني لم أعثر عند البكري أو ياقوت على نقول معزوة اليه .

ولما طبع كتاب عرام بن الأصبغ السالف الذكر ، أثار كثيراً من المشاكل . فقـد نقل البكري منه كثيراً من النصوص ، رواية عن أبي عبيد السكوني ، عن أبي الأشعث عنه . ونقل ياقوت كثيراً منه عن أبي الأشعث . وتبين من مقارنة النقول والكتاب المطبوع أن أبا الأشـــعث عبد الرحمن بن محمد الكندي كان مجرد راوية أمين لكتاب عرام . اما أبو عبيد الله عمرو بن بشر السكوني فلم يكتف بالرواية . فكثير من النصوص التي نقلها البكري عنه غير موجودة في كتاب عرام المطبوع ، بل تختلف عن منهجه أيضاً . اذ يقيم علاجه للأماكن على وصف رحلات يقوم بها الإنسان من مدينة معروفة الى المنطقة التي يريدها ، ويصف كل ما يقابله في هذه الرحلة وكثيراً ما كان هذا الإنسان هو المصدّق ،

---

(١) ١٦٤/٢ . (٢) ٣٣٩/٢ . (٣) ١١٤ . (٤) ١٧٣ .

أي آخذ الصدقات والزكاة من القبائل . وقد ذكر البكري عدة رحلات من هذا النوع .

فاستنتج من ذلك الأستاذ عبد السلام هارون أن « كتاب السكوني في جبال تهامة هو رواية حرة لكتاب عرام اعتمدت على التعليقات الكثيرة والإضافات الاستطرادية [1] » أو « أن السكوني جعل الكتاب أساسه في الرواية ، ولكنه زاد عليه كثيراً من التعليقات والاضافات ، شأن كثير من رواة الكتب الأقدمين [2] » . ولكن الدكتور صالح أحمد علي درس هذه النصوص ، فتبين له أن كثيراً منها موجود في وفاء الوفا للسمهودي ، مروية عن أبي علي الهجري ، الذي لايمكن الا أن يكون غير السكوني [3] . وصار الأمر مشكلة تحتاج الى مواد جديدة ليتيسر الاهتداء الى وجه الصواب فيها .

ونسب ياقوت في مقدمة معجم البلدان [4] كتاباً لأبي عبيد السكوني لم يصرح باسمه ، ونقل عنه في المعجم ٦٠ نصاً ، درسها الدكتور صالح أحمد العلي [5] ، ووجد أنها تتصل بطريق حاج واسط ، والكوفة ، والبصرة ، ومناطق من الشام وجبلي طيء . وتبين من هذا أن السكوني تناول في كتابه جغرافية الجزيرة كلها ، وأنه اهتم بطرق المواصلات ، والأبعاد بين الأماكن ، وحددها بالأميال ، وبالأماكن القريبة من محاط الطرق الرئيسة ، والآبار وأعماقها ، والسكان وعشائرهم ، وانه من أدق وأشمل من وصف جزيرة العرب عامة .

قال ياقوت [6] : « قال أبو عبيد السكوني : خَفّان : من وراء النُّسوخ ، على ميلين أو ثلاثة ، عَيْن ، عليها قرية لولد عيسى بن موسى الهاشمي ، تعرف بخفان . وهما قريتان من قرى السواد ، من طَفّ الحجاز . فمن خرج منها يريد واسطاً في الطف ، خرج الى نجران ثم إلى عبدينيا وجُنْبلاء ثم قناطر بني دارا وتل نَخار ثم إلى واسط » .

ولكننا يجب أن نفرق بين هذا السكوني ، وأبي عبيد عمرو بن بشر السكوني الذي نقل عنه أبو عبيد البكري كتاب عرام . فإنني أعتقد أن هذا السكوني هو أبو عبد الله

(١) ٣٧٢ . (٢) ٣٧٦ (٣) ٣٦،٣٢ .

(٤) ١/٧ . (٥) المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز ٢٨ — ٤٢ .

(٦) ٢/٤٥٦ .

[أو أبو عبيد الله] احمد بن الحسن السكوني ، الذي ترجم له ياقوت في معجم البلدان [1] ، وكان مختصاً بالمكتفي (٢٨٩ ـ ٢٩٥) والمقتدر (٢٩٥ ـ ٣٢٠) ، وألف كتاباً في اسماء مياه العرب ، صرح ياقوت انه رأى نسخة غير تامة منه ونقلها .

وعدّ ياقوت [2] كتاب « صفة جزيرة العرب » لأبي محمد الحسن بن أحمد الهمداني ، المتوفى في ٣٣٤ هـ ، من هذا النوع من الكتب . وبالرغم أني لا أوافقه كل الموافقة ، أدون وصفاً سريعاً ومختصراً للكتاب ، ليتضح منهجه ، وما بينه وبين الكتب التي أتحدث عنها من مشابه وفروق .

صدر الهمداني كتابه بعدة فصول جغرافية خالصة أو تكاد . فتحدث عن الجزيرة العربية ، باعتبارها أفضل البلاد المعمورة ، فأبان حدودها ومسافاتها ؛ ثم تحدث عن تقسيم بطليموس الأرض الى اقاليم ، ودوائر ، وخطوط الطول والعرض ، وما ذكره بطليموس عن طبائع أهل العمران . وختم بإبانة خطوط طول مدن العرب المشهورة وعرضها .

ثم بدأ الكتاب الحق بالأمور التي يعنى بالحديث عنها ، وهي [3] « مساكن هذه الجزيرة ومسالكها ومياهها وجبالها ومراعيها واوديتها ونسبة كل موضع منها الى سكانه ومالكه على حد الاختصار ، وعلى كم تجزأ هذه الجزيرة من جزء بلدي ، وفرق عملي ، وصقع سلطاني ، وجانب فَلَوي ، وحيّز بدوي » .

ثم استهل حديثه بأولاد نزار ، وتفرقهم ، وسبب تسميتها بالجزيرة : وأقسامها . وبدأ باليمن موطنه ، فأفاض فيه ، وعالج منه كل شيء ؛ وما بقي من الكتاب — وهو قليل — وزّعه على بقية أنحاء الجزيرة . وكان يتحدث عن الأماكن حسب تسلسلها الجغرافي ، ويفيض في الحديث عن النواحي البشرية ، وأكثر من الشعر في آخر الكتاب خاصة . ويعد كتاب الهمداني اكبر الكتب التي تناولت الجزيرة العربية ، وأهم الكتب عن اليمن .

قال [4] : « ومن أخذ الجادة من مكة الى معدن النقرة ، فمن مكة الى البستان تسعة

---

(١) ٩/٣ . (٢) ٧/١ . (٣) ٤٦ . (٤) ١٨٥ .

وعشرون ميلاً . وعرض البستان أحد وعشرون جزء اوربع . ومنه الى ذات عرق أربعة وعشرون ميلاً . وعرض ذات عرق أحد وعشرون جزءاً وثلثا جزء . ومنها الى الغمرة عشرون ميلاً . وعرض الغمرة اثنان وعشرون جزءاً .. » .

ونسب ابن النديم [1] الى أبي محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي المتوفي نحو ٣٦٠ هـ « كتاب المناهل والأعطان والحنين الى الأوطان » . ويبدو أنه لم يقع لياقوت ولا البكري .

وذكر ياقوت في مقدمة معجم البلدان [2] عن أبي سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي المتوفى في ٣٦٨ هـ : « بلغني أن له كتاباً في جزيرة العرب » . ولكنه نسبه اليه دون تحرز في المعجم ، ونقل نصاً عنه ، قال في صدد حديثه عن أجياد [3] : « قال أبو سعيد السيرافي في كتاب جزيرة العرب من تأليفه : هو موضع خروج دابة الأرض » . وما نسبه ياقوت الى السيرافي من النصوص قليل جداً ، لانستطيع أن نستخلص منه معالم لكتابه .

وألف الحسين بن محمد الرافقي الخالع ، المتوفى في ٣٨٨ هـ ، كتاب « الأودية والجبال والرمال [4] » . ونسب اليه ياقوت [5] ثلاثة نصوص ، كلها تتحدث عن الرياض . مثال ذلك قوله : « روضة الحدّاد : كذا وجدته في كتاب الخالع : بالحاء ، وعندي أنه الجدّاد ، بالجيم والضم ، والجداد : صغار الطلح . قال : الحداد : واد عظيم . قال اياس بن الأرَتّ :

حيِّ الجميع بروضة الحدّاد من كل ذي كرم يَزين النادي »

وألف أحمد بن فارس الرازي ، المتوفى في ٣٩٥ هـ ، كتاب « دارات العرب [6] » . وقد أشار اليه ياقوت في مطلع حديثه عن الدارات ، قال [7] : « وهي نيف على ستين دارة ، استخرجتها من كتب العلماء المتقنة ، وأشعار العرب المحكمة ، وأفواه المشايخ الثقات .

(١) الفهرست ١٥٥ . (٢) ١/٧ . (٣) ١/١٣٨ .
(٤) ١٠/١٥٥ . السيوطي : البغية ٢٣٥ . وانظر التنوخي : مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ١٥/١٥٨ .
(٥) معجم البلدان ٢/٨٤٧ ، ٨٥٦ ، ٤/٤٧٥ . (٦) ابن الأنباري : نزهة الألباء ٢٢٠ .
(٧) ٢ : ٥٢٦ .

واستدللت عليها بالأشعار حسب جهدي وطاقتي ، والله الموفق . ولم أر أحداً من الأئمة القدماء زاد على العشرين دارة الا ماكان من أبي الحسين بن فارس ، فإنه أفرد له (؟) كتاباً ، فذكر نحو الأربعين . فزدت أنا عليه بحول الله وقوته نحوها » . ونقل ياقوت عن ابن فارس في بعض المواضع ، ولكن أرجح أنها كلها مأخوذة من أماليه [1] .

ومن أهل القرن الخامس ، ألف ابو محمد الحسن بن أحمد الأسود الأعرابي الغندجاني ، الذي كان حياً في ٤٢٨ هـ ، كتابي « اسماء الأماكن [2] » و « مياه العرب » . واشار ياقوت الى ثانيهما بين الكتب التي رجع اليها عند تأليف معجم البلدان [3] . والنقول التي يعزوها اليه كثيرة ومتنوعة ، غير انه لم يصرح باسم الكتاب الذي ينقل عنه . فهو يتحدث عن المياه كثيراً [4] ، ولكنه يتحدث عن غير المياه ايضاً [5] ، بل ينقل عنه أشعاراً فقط [6] ، كما ينقل عنه اخباراً واساطير عربية [7] .

وفي القرن الخامس أيضاً ، ألف أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ، المتوفى في ٤٨٧ هـ ، كتاب « معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع » . وحدد المؤلف موضوعه في صدر مقدمته ، حين قال [8] : « هذا كتاب ذكرت فيه — ان شاء الله — جملة ما ورد في الحديث والاخبار ، والتواريخ والأشعار ، من المنازل والديار ، والقرى والامصار ، والجبال والآثار ، والمياه والآبار ، والدارات والحرار » . فالبكري اذن يعني بكل ما ورد اسمه في الحديث والاخبار والشعر من الاماكن .

ورمى بذلك الى هدف لغوي ، جلاه في قوله [9] : « فإني لما رأيت ذلك قد استعجم

(١) ١ : ٤٠٥ .
(٢) السيوطي : البغية ٢١٧ .
(٣) ياقوت : معجم البلدان ١/٧ .
(٤) نفس المرجع ١/٣٦٤ ، ٢٩٥ ، ٣ : ٦٠٢ وغيرها .
(٥) ١/٦٠ ، ٣/٣٩١ ، ٤١٤ ، ٦٧١ وغيرها .
(٦) ١/٨٠٠ ، ٩٣٣ ، ٢/٢٦٤ ، ٣/٢٧٣ ، ٧١٤ ، ٤/٦٩١ وغيرها .
(٧) ١/١٢٢ ، ١٣٠ ، ٤٠٦ ، ٢/٩٩ ، ٣٠٢ ، ٣/٤١٤ ، ٦٠٩ ، ٨٦٤ وغيرها .
(٨) ١ .
(٩) ١ .

على الناس ، أردت أن أفصح عنه ، بأن أذكر كل موضع مبين البناء ، معجم الحروف،حتى لايدرك فيه لبس ولا تحريف » .

ورتب المؤلف كتابه وفقاً للحروف العربية ، ولكن على نظامها عند المغاربة ، وهو يتفق مع ترتيبنا المشرقي الى الزاي ، ثم يختلف على النحو التالي : ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ و ي . واعتمد في ترتيب المواضع على الحرفين الأولين ، وأهمل ما بعدهما من حروف . واذا كان الحرف الثاني ألفا زائدة أهملها واعتبر الحرف الذي بعدها . وقد طبع الكتاب في جوتنجن ، على يد المستشرق فستنفلد ، على هذا الترتيب . ثم أعاد طبعه الاستاذ مصطفى السقا في القاهرة ، بعد أن غير ترتيبه وفقاً للألفباء المشرقية ، التى أخضع لها حروف الكلمة كلها ، غير مقتصر على حرفين فقط.

ونهج المؤلف في كتابته عن المواضع أن يضبط الحروف بالعبارة ، ثم يحددها ، مع نسبة كل قول الى قائله من اللغويين والاخباريين المشهورين [1] . وقد أوضح استاذي مصطفى السقا هذا النهج في قوله [2] : « يعوّل المؤلف في الضبط على الشعر العربي أولا ، فيأتي بالشعر الذي ورد فيه اسم المكان ، ويُسنده الى الراوي الذي نقله من العلماء ، ويوازن بين الروايات ، ويرجح رواية الثقات ، ويعتمد في ذلك على النسخ الفذّة ، التى كتبها العلماء أنفسهم بأيديهم ، أو التى كتبها وراقوهم المعروفون ، أو تلاميذهم المبرزون ، وقرءوها عليهم ... وكان يعتمد في الحديث على روايات الكتب الصحاح ، وخاصة الموطأ ، والبخاري ، وسنن أبى داود ، وينقل كثيراً من الاحاديث عن ابن وهب وابن القاسم من شيوخ المالكية . وينقل عن ابن اسحاق صاحب السيرة ، وعن أبي جعفر الطبري . ويصحح ما وقع في كتب أولئك وهؤلاء من تحريف في اعلام البلدان » . واضيف الى ذلك ما نقله من المعاجم اللغوية ، وخاصة من جمهرة ابن دريد .

وامثل لمنهجه بقوله [3] : « البان — على وزن افعال ، كأنه جمع لَبَن : موضع في ديار بني هُذَيل . قال ابو حاتم : هو جبل اسود في ديار بني مُرّة بن عوف ، قال ابو قلابة :

(١) ١ ، ٤ . (٢) د . (٣) ١ / ١٨٦ .

يا دار أعرفُها وَحْشا منازلُها بين القوائم من رَهْط فألْبانِ

فدِمنةٍ فرُخَيّاتِ الأَحتِّ الى ضَوْجَيْ دفاق كسحق الملبس الفاني

هذه كلها مواضع متقاربة . والقوائم : جبال منتصبة هنالك . قال تأبط شراً :

هَلا سألت عُمَيراً عن مصاولتي قوماً منازلهم بالصيف ألبانُ »

وصدّر البكري كتابه بمقدمة طويلة ، في ٩٠ صفحة ، عالج فيها أقسام بلاد العرب المختلفة ، وتفرّق القبائل ورحلاتها فيها . وهي مقدمة عظيمة الأهمية من الناحية الجغرافية والتاريخية .

ويؤخذ عليه أنه لم يحدد كثيراً من مواضعه ، أو أعطاه تحديداً غير دقيق ، وأنه أحال في كثير منها الى مواضع أخرى ، بل مواضع جاءت عرضاً في بعض الرسوم الأخرى . ولكنه مرجع لاغناء عنه لكل من يشتغل بالتاريخ العربي القديم والجغرافيا والشعر الجاهلي [1] .

وفي القرن السادس ، ألف أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، المتوفى في ٥٣٨ هـ ، كتاب « الجبال والأمكنة والمياه » . وحاول ان يرتب القسط الأكبر منه . فاعتمد في ذلك على الحرف الأصلي الأول وحده ، واهمل بقية الحروف . ولكنه اضطرب في الاسماء المكونة من مضاف ومضاف اليه ، فاعتبر الصدر أحياناً ، كما في أبي قبيس ، وأم خنور ، وأم خرمان ، وام موسل ، وام اوعال ، التي وضعها في باب ما أوله همزة ؛ وبرقة شماء ، وبستان ابن عامر ، وبطن مر ، وبطن اللوى ، وبقيع الفرقد ، وبقاع الكلب ، وبئر بضاعة ، وبيت جبريل ، وبرقة الروحان ، وبيت رأس ، وبئر أبي عنبة ، وبئر مصونة ، وبرك الغماد ، التي وضعها في باب ما أوله باء . واعتبر العجز أحياناً ، كما في معدن الأحسن ، وسوق حباشة ، وأبرق الحنان ، التي وضعها في باب ما أوله حاء ؛ ورمل مخفق ، وجبل خليج ، التي وضعها في باب ما أوله الخاء ؛ وجبل رنقاء ، ومرج راهط ، اللذين وضعهما في باب ما أوله راء .

---

(١) كراتشكوفسكي : تاريخ الادب الجغرافي العربي ٢٧٨ .

ثم ألحق به أربعة فصول تعالج الطريق بين ينبع ومكة . فجعل الفصل الأول منها لأسماء الجبال الكبيرة ، والثاني للجبال الصغيرة ، والثالث للأودية ، والرابع للمياه .

ولم يراع الزمخشري في هذه الفصول الأخيرة ترتيباً ما ـ فيما يبدو . ولم يتعد منهجه فيها إعطاء قوائم بأسمائها ، ولم يعن بتحديدها أو وصفها أو إيراد شواهد شعرية عليها إلا نادراً كل الندرة . مثال ذلك قوله في الفصل الاول [1] : « شعران ، ويمى ، وبضع ، والعناب ، وسيبان ... وسراوع . وأنشد الجحوش الخفاجي :

نظرت ـ ومن دوني تهامة كلها وحمر الذرا معروف من سراوع »

أما الكتاب نفسه ، فقد ترك فيه كثيراً من البقاع دون تحديد ، ولجأ في بعضها إلى تحديدها بما يجاورها ، أو بأسماء من يسكنها من قبائل ، أو بالإقليم الذي تقع فيه ، أو بأكثر من واحد من الامور السابقة ، مع بيان المسافة بينها وبين بعض البقاع الاخرى المشهورة في احيان اخرى ، ووصفها في احايين بذكر نباتها ، أو ارتفاع جبالها وألوانها . وقد علل بعض الاسماء ، وأورد في ذلك بعض الخرافات ، وكان ذلك قليلاً جداً . واستشهد بأشعار نسب بعضها إلى قائليه ، واهمل بعضها الآخر . وتظهر على الكتاب خصائص المختصرات .

وأمثل له بقوله [2] : « الدثنية والدفينة : منزل لبني سليم . الدخول : موضع . وقيل : بئر نميرة كثيرة الماء . دارة الجثوم : لبني الأضبط بن كلاب ـ والجثوم : ماء لهم يصدر في دارة بيضاء . دارة غبير : لبني الأضبط بها ماء يسمى الغبير . الدهناء : موضع في بلاد بني تميم . درنى : موضع . قال الأعشى :

حلّ أهلي ما بين درني فبادو لي ، وحلت علوية بالسخال »

وصرح ياقوت [3] أنه رأى كتاباً لأبي الحسن علي بن محمد العمراني الخوارزمي ، المتوفى نحو ٥٦٠ هـ ، وان مؤلفه وقف على كتاب شيخه الزمخشري وزاد عليه . وعبارة

---

(١) ١٥٥ . (٢) ٥٤ . (٣) معجم البلدان ١/٧ .

ياقوت موهمة . فقد وسع العمراني مجال دراسته ، فشمل العالم الاسلامي كله ، من خوارزم شرقاً إلى المغرب غرباً ، بل تعرض لبعض البلدان غير الإسلامية مثل القدونين ، وقَرار ، وقُنْوة ، ومجذونية ، من بلاد الروم ، وواضح ان اكثرها غير مشهور ، مما قد يدل على انه حاول ان يتحدث عن بلاد الروم كلها . وواضح من نقول ياقوت عنه كثرة المواضع غير العربية التي تعرض لها .

ورتب العمراني كتابه « المواضع والبلدان » على الألفباء ، ولكنه لم يقتصر على الحرف الأول كأستاذه . فقد ذكر ياقوت [1] : « قال ابو الحسن الخوارزمي : عيقة : موضع ذكره في هذا الباب من العين مع الياء » . فدل على انه راعى الحرفين الأولين على الأقل . وذكر ياقوت [2] ان العمراني وضع قلهات بالثاء بعد قلهات بالتاء ، مما قد نستنتج منه انه راعى حروف الكلمة كلها . ولكن ذلك غير ضروري ، لأنه — فيما يبدو — كان يضع المواضع المتشابهة في الخط ، فيخاف عليها اللبس والتحريف ، في موضع واحد ، مما يؤيد قول ابن خلكان ان عنوان الكتاب [3] « ما اتفق لفظه وافترق معناه في الاماكن والبلدان المشتبهة الخط » . ويبدو انه في داخل كل فصل لم يراع الترتيب فقد قدم قلهات بالثاء على الثائية مرة ، ولكنه قدم قراش بالشين على قراس ، في فصلها [4] .

واختلف العمراني مع استاذه في ضبط بعض الاماكن . فقد ضبط الزمخشري حقال [5] بكسر الحاء وتخفيف القاف ، وضبطه هو بفتح الحاء وتشديد القاف ؛ وقال ياقوت [6] : « قال العمراني : مَرْبَخ ـ بفتح الميم والباء : رمل من رمال زرود ، وعن جار الله بضم الميم وكسر الباء » .

وحاول العمراني أن يحدد مواقع المواضع التي تحدث عنها ، فأفلح في بعضها ، ولم يفلح في بعضها الآخر ، وخاصة البعيدة عن موطنه وعن الجزيرة العربية ، فاكتفى في كثير منها

(١) ٣/٧٥٣ . (٢) ٤/١٦٨ . (٣) ٣/٤٢١ .
(٤) ٤/٤٧ . (٥) ٢/٢٩٨ . (٦) ٤/٤٨٣ .

أو أكثرها بأنها مواضع ، أو مواضع بمصر ، أو المغرب ، أو بلاد الروم ، أو ما شاكل ذلك .

قال : [1] « الأعيان ، بالنون : موضع ، في قول عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي:

تَروَّحنا من الأعيان عصراً فأعجلنا الإلاهة أن تؤوبا

هكذا رواه أبو الحسن العمراني . ورواه الأزهري : تروحنا من اللعباء » .

وقال [2] : رَزْبيط ... مدينة بالمغرب ، عن العمراني » .

ويبدو أن ياقوتاً كان سيء الظن بالعمراني ، فشك في كثير من مواده [3] ، وعدل عن ضبطه [4] ، وحكم عليه بالتصحيف في الضبط والحروف [5] ، ولم يرض عن تحديده لبعض المواقع [6] ، ورماها بالخطأ [7] . ثم اتهم العمراني بسوء الفهم، حتى اعتقد أن مَهْرة أرض وهي قبيلة [8] ، وأن حليمة المذكورة في المثل «ما يوم حليمة بسر» موضع وهي امرأة [9] ، وأن ريا التي ذكرها جرير موضع وهي امرأة [10] .

والف أبو الفتح نصر بن عبدالرحمن الفزاري الإسكندري [11] ، المتوفى في ٥٦٠ هـ ، كتاب « أسماء البلدان والأمكنة والجبال والمياه » الذي أعجب به ياقوت كثيراً واتخذ منه أحد العمد الرئيسة التي رفع عليها معجمه ، بحيث رأى محققه أن من العبث فهرسة المواضع التي ذكر فيها نصر .

ومن العسير ـ في مثل هذه الحالة التي التحمت فيها مادة نصر بمادة ياقوت ـ أن نتبين

(١) ١ / ٣١٧ .
(٢) ٢ / ٧٠٥ .
(٣) ٣ / ١٠٨ ، ٣٤٤ ، ٤٥٨ ، ٧٧٤ وغيرها .
(٤) ٢ / ٧٣٩ ، ٧٧١ ، ٩٢٠ وغيرها .
(٥) ٢ / ٤٦٩ ، ٩٥١ ، ٣/ ١٠٨ ، ١٥٦ ، ٢٤٥ ، ٦١٢ وغيرها .
(٦) ٢ / ٤٤١ .
(٧) ٢/ ٥٧١ .
(٨) ٤ / ٧٠٠ .
(٩) ٢ / ٣٢٥ ، وانظر ٣ : ١٢٥ .
(١٠) ٢ / ٨٨١ .
(١١) ياقوت : معجم البلدان ١ / ٨ . وانظر حديث كراتشكوفسكي عن المخطوطة المحفوظة بالمتحف البريطاني منه ، ٣٢٢ ـ ٣٢٣ .

خصائص منهجية لنصر . ولكن الواضح أن نصراً كان ميالا إلى الدقة فى تحديد المواضع التي يذكرها ، وكان يحددها بذكر ما يجاورها أو إقليمها أو قطرها ، أو ساكنيها من القبائل ، أو أكثر من واحد من الأمور السابقة . وحاول أن يصف ما يحتاج إلى وصف من الأماكن ، واعتمد على الشعر والحديث في استخلاص مادته . ولا نعدو الحق حين نظن أنه كان مرتبا على الألفباء ، لأن الكتب التي اختصرته أو اعتمدت عليه كانت كذلك .

قال نصر : الأُدواء ـ بضم الهمزة وفتح الدال : موضع في ديار تميم بنجد[1] ...أديم ـ أيضا : عند وادي القرى من ديار عذرة ، كانت لهم بها وقعة مع بني مرة ؛ عن نصر[2] ... ثَهْمَد : جبل أحمر فارد ، من أخيلة الحمى ، حوله أبارق كثيرة في ديار غنيّ[3] .

وألف محمد بن أبي القاسم بن بايحوك البقالى ، المتوفى في ٥٦٢ هـ ، كتاب « منازل العرب ومياهها[4] » ولكنني لم أعثر على مقتبسات منه تهديني إلى حقيقته ، ومنهجه ، وقيمته .

ولم يكن ياقوت وحده المعجب بكتاب أبي الفتح الإسكندري ، بل أعجب به أكثر من جاء بعده من المؤلفين . فاختصره أبو موسى محمد بن عمر المديني الأصفهاني ، المتوفى في ٥٨١ هـ ، في كتابه « ما اختلف وائتلف من أسماء البقاع[5] » .

وقد وقف ياقوت على الكتاب ومدحه ، قال[6] : « تأليف رجل ضابط ، قد أنفد في تحصيله عمراً ، وأحسن فيه عيناً وأثراً » . وقد تعرض فيه للأماكن العربية ، وغير العربية ، واتسم تحديده مواقعه بالدقة . قال[7] : « المضيّح : جبل بنجد على شط وادي الجريب من ديار ربيعة بن الأضبط بن كلاب ، كان معقلا في الجاهلية ، في رأسه متحصّن وماء » .

وذكر في المواضع التي تحدث عنها من ينسب إليها من العلماء . ويبدو أن هذا من

---

(١) ١ / ١٧٠ . (٢) ١ / ١٧١ . (٣) ١ / ٩٤٢ .
(٤) السيوطى : البغية ٩٢ . (٥) ياقوت : معجم البلدان ١ / ٨ .
(٦) ١ / ٨ . (٧) ٤ / ٥٦٠ .

زياداته على أبي الفتح الإسكندري ، لأن أكثرها منسوب اليه في معجم ياقوت . فإن كان الأمر كذلك ، كانت تلك الظاهرة تتجلى في هذا الكتاب للمرة الأولى ، وإن كانت غير فذة لأنها كانت منتشرة في كتب الأنساب والأعلام ، لمعرفة الألقاب .

كذلك اتخذ أبو بكر محمد بن موسى الحازمي ، المتوفى ٥٨٤ هـ ، كتاب أبي الفتح الإسكندري أساساً لكتابه المسمى « ما اتفق لفظه واختلف مسماه من الأمكنة المنسوب إليها نفر من الرواة ، والمواضع التي ذكرت في مغازي رسول الله » أو « المؤتلف والمختلف في أسماء البلدان » ، حتى قال عنه ياقوت [1] : « وجدت الحازمي ـ رحمه الله ـ قد اختلسه وادعاه واستجهل الرواة فرواه » . ويبدو أن ياقوتا كان حاقداً على الرجل ، قال : « ولقد كنت عند وقوفي على كتابه أرفع قدره عن علمه ، وأرى أن مرماه يقصد عن سهمه ، إلى أن كشف الله خبيئته ، وتمحّض المحض عن زبدته » . ولذلك لم يرجع إليه إلا مرات قلائل نتبين منها أن الرجل كان يرد على المديني أحياناً [2] ، وكان يذكر المنسوبين إلى المواضع التي يتحدث عنها [3] .

ثم بلغ هذا الفرع اللغوي الجغرافي القمة ، حين ألف أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي (٥٧٤ ـ ٦٢٦) كتابه « معجم البلدان » ، الذي قام بطبعه المستشرق فردنند فستنفلد في ليبسك عام ١٨٦٦م في أربعة أجزاء كبار ، وآخرين للفهارس والتعليقات ثم طبع في القاهرة في ٨ أجزاء ، بدون فهارس ولا تعليقات في سنة ١٩٠٦ م ، ثم في بيروت حديثاً .

وكان المؤلف يرمي فيه إلى ما رمى إليه البكري قبله ، أعني تخليص أسماء ، الأماكن من التصحيف ، لأهميتها عند أهل العلوم المختلفة .

أما مادة الكتاب ، فهي ـ تبعاً لقول المؤلف في مقدمته ـ : « أسماء البلدان والجبال والأودية والقيعان ، والقرى والمحالّ والأوطان ، والبحار والأنهار والغدران ، والأصنام والأبداد والأوثان » .

---

(١) ١ / ٨ . (٢) ٢ : ٥٧٦ . (٣) ١ : ٢٥٦ ، ٢ : ٤٩٤ .

ولم يقصر بحثه على بلاد العرب أو الخلافة الاسلامية ، بل تعداها إلى العالم القديم الذي عرفه المسلمون . واستمد هذه المادة من كتب المؤلفين السابقين في البقاع ، ومن كتب الأدب والحديث ، أو كما قال في مقدمته بعد أن ذكر بعض كتب البقاع : « وهذه الكتب المدونة فى هذا الباب التي نقلت منها . ثم نقلت من دواوين العرب والمحدثين ، وتواريخ أهل الأدب والمحدّثين ، ومن أفواه الرواة وتفاريق الكتب . وما شاهدته في أسفاري وحصّلته في تطوافي أضعاف ذلك » .

ورتب الأسماء وفقا لحروفها كلها : أصلية ومزيدة ، للمرة الأولى في هذا النوع . قال : «فأقسمه ثمانية وعشرين كتاباً على عدد حروف المعجم . ثم أقسم كل كتاب إلى ثمانية وعشرين باباً للحرف التالي للأول . وألتزم ترتيب كل كلمة منه على أول الحرف وثانيه وثالثه ورابعه وإلى أي غاية بلغ . فأقدم مايجب تقديمه بحكم ترتيب ا ب ت ث على صورته الموضوعة له ، من غير نظر إلى أصول الكلمة وزوائدها ، لأن جميع ما يرد إنما هى أعلام لمسميات مفردة ، وأكثرها عجمية ومرتجلة لامساغ للاشتقاق فيها » .

ووصف ياقوت منهجه في الحديث عن الأماكن التي تكلم عنها ، فقال : « فاستخرت الله تعالى وجمعت ما شتتوه ، وأضفت إليه ما أهملوه ... ووضعته وضع أهل اللغة المحكم ، وأبنت عن كل حرف من الاسم : هل هو ساكن أو مفتوح أو مضموم أو مكسور ، وأزلت عنه عوارض الشُّبَه ... ثم أذكر اشتقاقه إن كان عربياً ، ومعناه إن أحطت به علماً إن كان عجمياً ؛ وفي أي إقليم هو ، وأي شيء طالعه ، وما المستولى عليه من الكواكب ، ومن بناه ، وأي بلد من المشهورات يجاوره ، وكم المسافة بينه وبين ما يقاربه ، وبماذا اختص من الخصائص ، وما ذكر فيه من العجائب ، وبعض من دُفن فيه من الأعيان والصالحين والصحابة والتابعين [والمنسوبين إليه] ، ونبذا مما قيل فيه من الأشعار في الحنين إلى الأوطان ، والشاهدة على صحة ضبطه والإتقان ، وفي أي زمان فتحه المسلمون وكيفية ذلك ، ومن كان أميره وهل فتحه صلحاً أو عنوة ، لتعرف حكمه في الفيء

والجزية ، ومن ملكه في أيامنا هذه . على أنه ليس هذا الاشتراط بمطاوع لنا في جميع ما نورده ، ولا ممكن في قدرة أحد غيرنا ، وإنما يجيء على هذا البلدان المشهورة والأمهات المعمورة ، وربما ذُكر بعض هذه الشروط دون بعض على حسب ما أدانا إليه الاجتهاد .. واستقصيت لك الفوائد جلها أو كلها ... حتى لقد ذكرت أشياء كثيرة تأباها العقول ... لبعدها عن العادات المألوفة ، وتنافرها عن المشاهدات المعروفة » .

وإذن فالكتاب يتأثر باللغويين في ترتيب الأسماء ، وضبطها ، وإبانة اشتقاق العربي منها ، ومعنى الأعجمي ، وفي تحديد أبعاد الأماكن بما جاورها من البقاع المشهورة ، والاستشهاد بالشعر على الضبط والتحديد . ويتأثر بالجغرافيين فى إبانة أقاليم المواضع ، وخطوط طولها وعرضها ؛ وبالفلكيين في الكشف عن طالع كل منها تبعاً للكوكب المستولى عليه . ويأخذ من التاريخ تاريخ المدن ، والمنسوبين اليها ، وفتح المسلمين لها ، وأميرها في عصر ياقوت . ويستمد من المأثورات الشعبية كثيراً من القصص والأخبار ، المتعلقة ببناء هذه المدن ، وخصائصها وعجائبها .

وصدر ياقوت كتابه بمقدمة جغرافية طويلة ، اشتملت على خمسة أبواب ، عالج فيها صورة الأرض ، وتقسيمها إلى أقاليم ، ومعاني المصطلحات الكثيرة الدوران في الكتاب وحكم البلاد التي فتحها الإسلام في الفيء والخراج ، وجملا من أخبار بعض البلدان . وكلها أمور لا تدخل في نطاق بحثنا هذا .

وقد وصف كراتشكوفسكي أهمية معجم ياقوت ، فقال [1] : « هو أوسع وأهم ، بل وأكاد أقول أفضل مصنف من نوعه لمؤلف عربي للعصور الوسطى . ولتكوين فكرة عن حجمه يكفي أن نذكر أن المتن المطبوع يضم ٣٨٩٤ صفحة . وهو جماع للجغرافيا في صورها الفلكية والوصفية واللغوية وللرحلات أيضاً ، كما تنعكس فيه الجغرافيا التاريخية إلى جانب الدين والحضارة والاثنولوجيا (علم الأجناس والفصائل البشرية) والأدب الشعبي

---

(١) ٣٣٥ .

وذلك في القرون الستة الأولى للهجرة . ويقرب عدد الشواهد الشعرية وحدها فيه ـ وذلك بين صغيرها وكبيرها ـ من الخمسة الآلاف » .

واستخرج ياقوت من معجمه كتاباً مختصراً باسم « المشترك وضعا والمفترق صقعا ». حذف منه كثيراً من الإطالات الجغرافية والأخبارية ، فاقترب به من كتب اللغة ، وجعله في مجلد واحد .

ووصل إلينا مصنف آخر يختصر معجم ياقوت تحت اسم « مراصد الاطلاع على أسماء الأماكن والبقاع » واختُلف في صاحبه ، فنسبه بعضهم إلى ياقوت ، ويبدو أنه خدعهم ما أعلنه ياقوت في مقدمة المعجم عمن طلبوا إليه اختصاره . ونسبه بعضهم الى صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحكم (المتوفى في ٧٣٩) وبعضهم الآخر إلى السيوطي (المتوفي في ٩١١)

ونختم بالاشارة إلى كتاب المتفق وضعا والمختلف صقعا لأبي طاهر مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي صاحب القاموس المحيط [1] (٧٢٩ ـ ٨١٧) ، ولم يصل الينا .

وصفوة القول أن هذه الكتب جميعاً كانت تهتم بالاسم أكثر من المسمى ، باعتبار الاسم من المادة اللغوية التى تعالجها في الشئون الأخرى ؛ واعتمدت على الشعر والأخبار العربية في استخلاص هذه الأماكن وتحديد مواقعها ، كما يعتمد عليه اللغويون في تفسير ما يريدون تفسيره من ألفاظ ؛ وأقامت تحديدها للمواقع على ذكر الأماكن المجاورة وأبعادها عنها بالمراحل والأيام ثم الأميال والبرد .

واختلفت بعد ذلك . فكان الأصمعي (في جزيرة العرب) والبكرى والإسكندري وعرام والسكوني وياقوت أقرب من غيرهم إلى الدقة في تحديد المواضع التي يتحدثون عنها ، وكان أكثرهم دقة عرام والإسكندري وياقوت . وأتت الدقة إلى عرام والسكوني من وصفهم رحلات يقوم بها المسافر ، وما يمر به من مواضع على التوالي . أما الدقة فتعتمد

---

(١) السخاوي : الضوء اللامع ١٠ / ٨٢ . الشوكانى : البدر الطالع ٢ / ٢٨٢ . السيوطي : البغية ١١٨ .

عند ياقوت على معلوماته الجغرافية البحتة ، حتى كان يحدد المواقع بخطوط الطول والعرض.

وتوسع البكري وياقوت في الشواهد التي استخلصوا منها أماكنهم . فاعتمد البكري على الأحاديث النبوية والأخبار العربية إلى جانب الشعر . واعتمد ياقوت على ذلك كله ، وأضاف إليه كثيراً من الكتب التاريخية والجغرافية وغيرها .

وكانت الجزيرة العربية وما تاخمها من أقطار عربية هي موضع دراسة المؤلفين الأولين . ولم يشذ عنهم غير الجاحظ الذي تناول بلادا غير عربية . وبقي الأمر كذلك حتى القرن السادس ، فوسع المؤلفون مجالهم وتناولوا المدن الإسلامية الأخرى ، ثم توسع ياقوت إلى بقية أنحاء العالم القديم .

واختلفوا في ترتيب الكتب . فسار الأولون كما كانوا يسيرون في الرسائل اللغوية الصغيرة ذات الموضوعات الواحدة ، مثل كتب الإبل ، والخيل ، وغيرها . فلم يرتب بعضهم كتابه ، مثل الأصمعي في داراته . ولكنه رتب جزيرة العرب وفقاً للأقاليم والقبائل التي تحلها ، وقسم عرام كتابه قسمين : واحداً لتهامة ، والآخر للحجاز ، واتبع في الوصف مايمر به المسافر بين المدينة ومكة من أماكن على التوالي . ثم ابتدأ الترتيب الألفبائي قاصراً على حرفين في المغرب العربي عند أبي عبيد البكري ، وعلى حرف واحد في المشرق عند الزمخشري ، ثم على حرفين عند العمراني ، إلى أن بلغ كماله عند ياقوت الذي راعى حروف الكلمة كلها : أصلية كانت أو مزيدة .

واتفق البكري وياقوت على ضبط الأسماء بالعبارة ، وإبانة حقيقة حروفها والحركات عليها ، والإشارة إلى اشتقاقها ، خشية أن يلحقها التحريف ، الذي كان السبب الذي دفعهما إلى تأليف معجميهما .

ثم اتجه كل منهم اتجاهاً خاصاً في المواد التي عنى بها في كتابه . فاهتم ابن الكلبي بتفسير أسماء البلاد وتعليلها ، وإيراد الخرافات المتصلة بذلك . وعنى أبو نصر الإسكندري ، وأبو موسى الأصفهاني ، وأبو بكر الحازمي بذكر العلماء المنسوبين إلى المواضع التي يعالجونها.

أما ياقوت فضم كل هذه الألوان ـ إذ أدخل هذه الكتب في معجمه ـ وأضاف إليها الأخبار التاريخية الكثيرة .

كل هذا جعل من معجم البلدان لياقوت القمة التي وصل إليها هذا اللون من التأليف والكتاب الذي يجمع كل اتجاهاته ، ويمثل كل الألوان ، ويضيف إليها ما أدخله من اتجاهات تاريخية وجغرافية . فقد مزج صاحبه فيه جميع ألوان الثقافة الإسلامية المتصلة به .

وقد تنبه أصحاب المعاجم اللغوية إلى هذا النهر منذ المعجم الأول . فأخذ الخليل بن أحمد في عينه منه بحظ يسير ، تعدى به شبه الجزيرة العربية إلى غيرها . ثم عَبّ منه ابن دريد في جمهرته ووسّع الصغاني في عبابه مجاله . ثم حوّله الفيروزآبادي وضمه إلى الأنهار الأخرى التي صبها في قاموسه المحيط ، ثم شارحه السيد مرتضى الزبيدي . وتقوم الدعوة الآن إلى نفي هذا النهر عن محيط المعاجم ، إذ تعتبره دخيلا على المجال اللغوي البحت .

وأفاد أصحاب هذه الكتب بدورهم من المعاجم . فاستقى أبو عبيد البكري كثيراً من رسومه من جمهرة ابن دريد . وأكثر ياقوت من الرجوع إليه وإلى الأزهري والجوهري وغيرهم . فتبادل كل من الفريقين التأثر والتأثير .

المراجع

الأصمعي: الدارات، المطبعة الكاثوليكية في بيروت، (في كتاب البلغة في أصول اللغة).

ابن الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، مطبعة المعارف في بغداد ١٩٥٩.

البكري: معجم ماستعجم من أسماء البلاد والمواضع، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة.

الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، مطبعة الظاهر بالقاهرة ١٩٠٨.

حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، طبع تركيا ١٩٤٣.

ابن حوقل النصيبي: صورة الأرض، الطبعة الثانية، ليدن ١٩٣٩.

الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، مطبعة السعادة بمصر.

ابن خلكان: وفيات الأعيان، مكتبة النهضة المصرية.

السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مكتبة القدسي بالقاهرة ١٣٥٥ هـ.

السمهودي: وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، مطبعة الآداب والمؤيد بمصر ١٣٢٦ هـ.

السيوطي: بغية الوعاة، مطبعة السعادة بالقاهرة.

الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٤٨هـ

صالح أحمد العلي: المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز ـ مستل من المجلد الحادي عشر لمجلة المجمع العلمي العراقي ١٩٦٤.

عرام: أسماء جبال تهامة، نوادر المخطوطات، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٥٥.

القفطي: إنباه الرواة، طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة.

كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٦٣ .

ليل : ديوان عبيد بن الأبرص ، طبع أوربا .

مجلة المجمع العلمي العراقي ببغداد .

مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق .

المرزباني : معجم الشعراء ، دار إحياء الكتب العربية ١٩٦٠ .

المسعودي : التنبيه والإشراف ، تحقيق روزن ، طبع أوربا .

: مروج الذهب ومعادن الجوهر ، مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٨ .

المعلقات .

المقدسي : أحسن التقاسم في معرفة الأقاليم ، مطبعة بريل ١٩٠٦ .

ابن النديم : الفهرست ، طبع ليبسك .

الهمداني : صفة جزيرة العرب ، مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٣ .

ياقوت : معجم الأدباء ـ طبعة أحمد فريد رفاعي .

: معجم البلدان ، طبع ليبسك ١٨٦٩ .

مصطلحات عمال الغزل والنسيج

أحال المجمع على لجنة فرعية مؤلفة من اعضائه السادة الدكاترة مصطفى جواد وابراهيم شوكة وجميل الملائكة وصالح أحمد العلي الطلب المقدم من وزارة العمل والشؤون الاجتماعية لوضع مصطلحات لتسمية زهاء سبعين عاملا يؤدون وظائف واعمالاً مختلفة في الغزل والنسيج . وقد عقدت اللجنة عدة اجتماعات لهذا الغرض قدمت بعدها الى المجمع مجموعة المصطلحات التي اوصت بها والتي اقرها المجمع بعد مناقشتها في جلسته المنعقدة في ١٤/٣/١٩٦٦ وفيما يلي قائمة بهذه المصطلحات :

Spinner	غزّال
Weaver	نسّاج
Knitter	سرّاد
Dyer	صبّاغ
Fibre Preparer	اليافيّ (اليافيّون)
Bale Transferer and Opener	نضائدي
Fibre Softer, Grader and Classer	فرّاز
Fibre Mixer and Blender	خلاّط
Rag Machine Man (Wool)	خرقي (بكسر ففتح)
Wool Fibre Scourer	مصوّل
Sketcherman	نسّاق

Lap Carrier	لفائفي
Fibre Picker	لقّاط
Fibre Carder (Wool and Jute)	مسرّح (صوف)
Fibre Carder (cotton)	مسرّح (قطن)
Gill Box Operator	ضفائري
Fibre Comber	ممشّط
Wool Silvers Dryer and Washer	راحض
Fibre Lapper	ملفاف
Fibre Drawer	جرّار
Fibre Slubber and Rover	فتّال
Jute Softener	مرقّق
Thread and Yarn Winder,	مدوّر
Thread and Yarn Doubler	متائم
Thread and Yarn Twister	برّام
Thread and Yarn Conditioner	منشّط
Reeler	مسلّل
Pressman	رصّاص
Beam Warper (Beamer)	مُسدّي
Hand Loom Threader	مُسلّك
Warp Tier	عقّاد
Loom Geater	معدّل
Hand Loom Weaver (Cloth)	نسّاج
Machine Loom Weaver (Cloth)	حائك

Jacquard Loom Weaver	راملي
Lace Machine Weaver	شرائطي
Hand Loom Weaver (Carpet)	سجادي
Machine Loom Weaver (Carpet)	طنافسيّ
Machine Loom Weaver (net)	شبكي
Loom Fixer	منوّل
Power-Driven Machine Knitter	حياك
Hand-Operated Machine Knitter	حابك
Knitting Machine Setter	مُحكِم
Pattern-Card Preparer	مقوّياتي
Card Cutter Jacquard	مخرّم
Textile Bleacher	قصّار
Dying Solution Preparer (Yarn aub Fabric)	أصباغيّ
Dyer (Yarn)	صبّاغ (غزول)
Dyer (Fabric)	صبّاغ (نُسج)
Dyer (Garment)	صباغ (اردية)
Textile Washer	غسال (نسيج)
Gummer	مصمّغ
Textile Carbonizer	مشذّب
Textile Shrinker	مقلّص
Yarn Textile Fuller	مُمتّن
Cropper or Shearing Machine Man	جزّاز

Hydro Extracting Machine Man	عصّار
Drying Macnine Man	مجفّف
Textile Waterproofer	كتّام
Fabric Calender	كوّاء
Fabric Decatizer	مُبخِّر
Fabric Folder	لفّاف
Raising Machine Man	نفّاش
Silk Weighter	مثقِّل
Fabrics Examiner	فاحص
Fabrics Cleaner	نتّاش
Fabrics Repairer	رفّاء
Braid Maker (Hand)	جدّال
Braid Maker (Machine)	ضفّار
Crocheting-Machine Operator	وشّاء